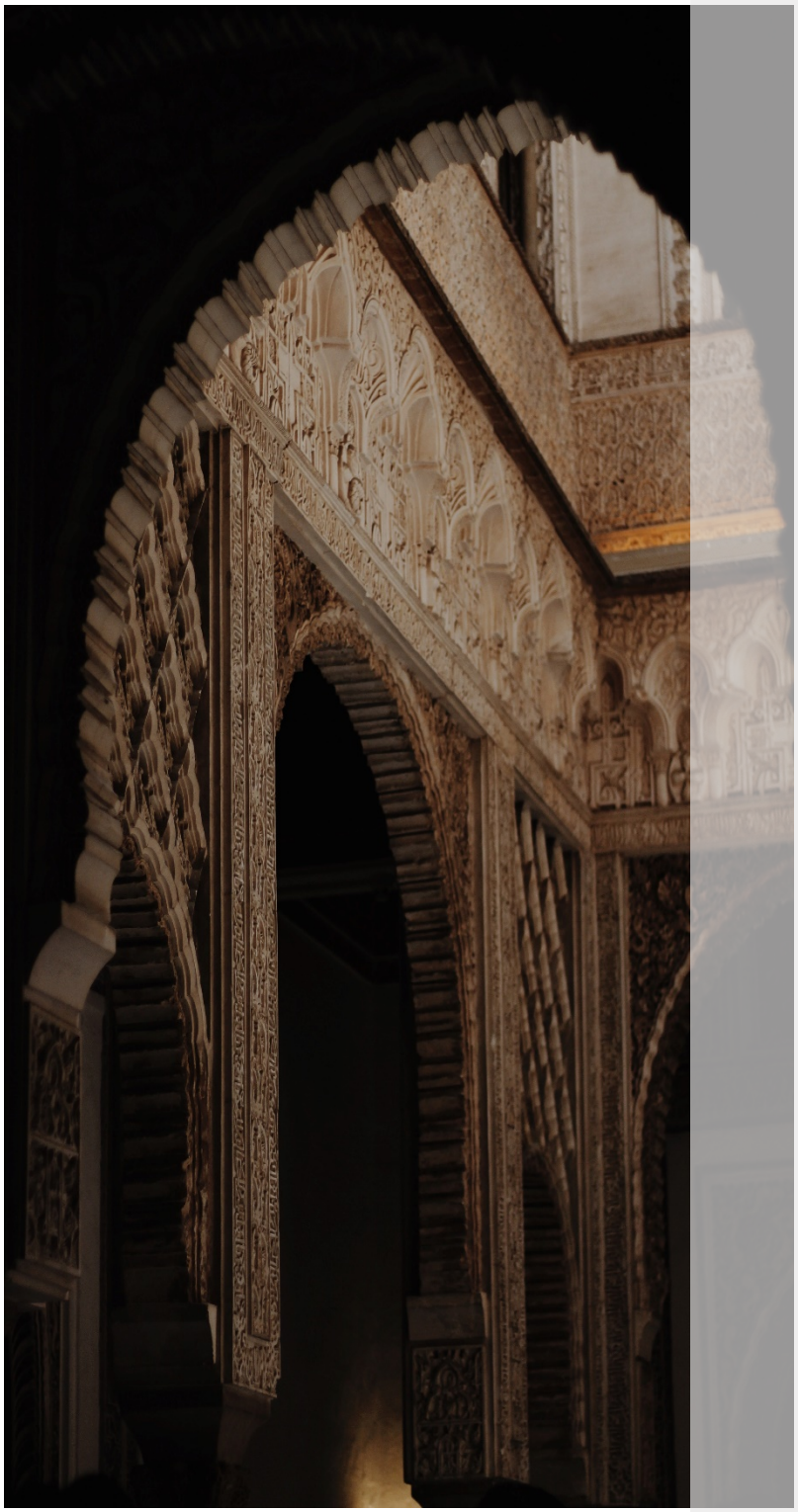

تفريغ محاضرة

واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

١٨ / ٥ / ١٤٤١ هـ

من نحن ؟

نحن مجموعةٌ نهلنا من معين دروس د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جمع المحتوى وتنظيمه ونشره ليسيلَ عذباً إلى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الالكتروني:

info@rawaa.org

واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

تحدثنا سابقا عن كيف يكون التغيير وكيف أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

لو أتينا إلى مجموعة من الأحاديث ومن الدروس التي أخذناها نجد أنها تستفيض في معنى واحد وتدور حول فكرة واحدة

وهي أن يكون الإنسان عبدًا لله لذلك أحيانًا يصل الإنسان إلى مرحلة من التساؤلات في حياته، **ما المطلوب مني أن أعمله في حياتي؟** ويأتي هذا السؤال في العمر ما بين ثماني عشرة وتسع عشرة سنة وعند دخولك العشرين، ويأتي هذا السؤال أحيانًا وأنت تنتقل من عشرين إلى ثلاثين سنة

ويأتيك أحيانًا وأنت تنتقل من الأربعين إلى الخمسين ثم من الستين إلى السبعين سنة

في كل مرحلة يظل لدى الإنسان هاجس، ماذا أفعل في حياتي وما هو الشيء المهم الذي يجب ألَّا يتصرم العمر قبل أن أفعله

جوابًا على هذا السؤال الله عزّ وجل يجيبنا في أول الأمر حينما تقلّب المصحف في أوائل الصفحات حينما تبدأ بسورة الفاتحة وتقرأها وتبدأ بسورة البقرة قوله تعالى: **﴿آلم (1) ذلك الكتاب لا ريبَ فيه...﴾** وتبدأ في تسلسل الآيات أول صيغة أمر تأتي في سورة البقرة هي أمر واحد وهي التي عليها مناط كل الحياة وهي قول الله عزّ وجل: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾**

فالأمر هنا الذي هو أول أمر في سورة البقرة ابتدأ بـ **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾** الخطاب عام جدًا **﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾** إذًا كلمة العبادة هنا لابد أن نضع عليها ألف خط لأنها أول أمر سيصادفك وسيلتقي بعينك حينما تفتح المصحف، إذًا هذا الترتيب مهم جدًا ولذلك حينما تقلّب في صفحات القرآن وفي آياته وما بين السور ستجد أن الله عزّ وجل يقول: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**

هذه الكلمة العامة التي تجيب على سؤال: ما هدف الحياة؟ لمَ الله خلق الإنسان؟ لمَ خلق الجن؟ لمَ خلق الله الكائنات الحية؟ لمَ خلق الله الجنة والنار؟ لمَ هذا كله؟!

الآية هذه ببساطة تضيف لك هذا المعنى أن الله لم يخلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ولتتحقق العبودية.

إذًا بغض النظر عن سيرنا الذاتية بغض النظر عن موقعك في جغرافيا الأرض، عرب عجم، بيض سود، أعلى أسفل، هذا كله غير مهم، وبغض النظر عن شخصيتك ونسبك ووظيفتك في الحياة، مدير وزير رئيس ربة منزل، بغض النظر عن خارطتك وسيرتك الذاتية إلا أن الهدف الذي نلتقي فيه جميعًا أننا كلنا يجب أن نكون عبادًا لله لأن الله يقول: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾**

عندما نأتي لهذا المعنى **نتخيل أن هذا معنى بسيط وفطري وواضح للجميع**

فالأكيد أننا عباد لله سبحانه، لكن هل بعمرك حملت الهمّ في كيف تحقق بالفعل هذه العبودية!

كيف من الممكن أن تكون عبدا يثني الله عزّ وجل عليه في الملأ الأعلى؟ العبد الذي يعيش حياة مباركة؟ الذي يعيش حياة عريضة وليست حياة طويلة!

كيف يكون الإنسان عبدًا لله، يرضى الله عنه ويرضيه ويكون الله عز وجل وليًا له في سرّائه وفي ضرّائه ويعتني به؟

تحدثنا في المرات الماضية أن الله عز وجل لما أثنى على نبيه لم يثني عليه بالنبوة ولم يثني عليه بالرسالة **وإنما كان دائمًا يثني عليه بأنه عبد لله عزّ وجل** في قوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾

مع أن هذا مقام الإسراء والمعراج مقام عالٍ لم يصله أي أحد من قبل النبي عليه الصلاة والسلام ووصل المنتهى في سدرة المنتهى ووصل إلى اختراق السماوات السبع فحادثة الإسراء والمعراج أصلًا حادثة عظيمة ومع ذلك لم يقل سبحان الذي أسرى بنبيه أو برسوله قال الذي أسرى بعبده

فالآن قبل أن نأتي إلى عبودية النبي عليه الصلاة والسلام أو إلى أصحابه أو غيرها من هذه المحاور،

لنقول أساسًا أن العبودية لا تتأتى إلا بثلاثة أركان وهذه الأركان الثلاث هي:

الحب، الخوف، الرجاء

فلو تخلّف واحد منها لم يكن ذلك تعبُّدًا، فلو تخلف الحب مثلًا وعبدت الله بالرجاء فقط أو عبدت الله بالخوف فقط

هذه ليست عبادة

فلو عبدت الله خائف من النار طوال الوقت لكن ليس عندك مشاعر الرجاء ولا أنه من الممكن أن يدخل أحداً الجنة ولا بأن الله يغفر وليس لديك أي شعور بالانتماء وبالحب لله عز وجل، فهذه أيضًا ليست عبودية

لذلك نحن نستطيع أن نقول نحن نخشى من الأسد ونهرب منه لكن نحن نحبه؟ نحن نرجوه؟ لا

وكذلك أنا أحب شخص معين لكن هل أستطيع أن أقول أنا أخافه أو أنا أطيعه؟ سنقول لا

لذلك الناس من حولنا قد يكون لهم الحب من غير خوف أو رجاء

فهم بشر مثلنا مثلهم، فلا نرجو أن يمنعوا عنا موتا ولا نرجو أن يمنعوا عنا مرضا وأقصى ما فيه أن يمسكوا بأيدينا ويقرأوا علينا لكن لا يمكن أن يمنعوا عنا شيئا لأننا لا نرجو ذلك المقام

فمن الذي تجتمع فيه المقامات الثلاث؟ **الله عز وجل** فله الحب وله الخوف وله الرجاء

فلنأخذ المعنى الأول في قضية الحب

كيف يكون الحب لله عز وجل؟

الخوف والرجاء معنيان واضحان لكن الحب لا يمكن أن تطيع الله عز وجل من غير أن تحبه ويكفي أن تعرف أن الله عز وجل هو الذي يعتني بك واعتنى بك قبل أن تعتني فيك أمك أصلًا!

ولذلك اذهب وشاهد أي فيلم وثائقي **عن دورة الجنين في بطن أمه في التسعة شهور** وانظر إلى تخليقه وعناية الله عز وجل في شقة عينه وفي أظفاره وفي الدماغ وفي الأعصاب وشاهد تقلبه أصلا في ذلك السائل في ذلك الرحم وكيف تغيرت كل تكوينات الجسم من أجل هذا الإنسان! فعند معرفتك أن الله عزّ وجل يكلأ هذا الطفل بعنايته وهو ضعيف كان عدمًا أصلا والله عز وجل خلقه إلى أن خرج هذا الطفل إلى الوجود، وإلى أن هداه الله عز وجل، وإلى أن يلتقم صدر أمه ليرضع، وإلى أن تتفتق أمعاؤه وأعصابه إلى آخر ذلك.

و**خذ مقامًا ثانيًا عندما تكون نائمًا** من الذي يعتني بكل أجهزتك، تنفسك! هل حصل وأن شاهدت إنسانًا يمشي وهو مُحتاج إلى مثل الضخ الرئوي لصدره أو غيره! هناك أناس يحتاجون دائمًا إلى هذا الضخ للهواء إما بأجهزة صناعية أو غيرها

وهؤلاء يكونون أمواتًا أو في غيبوبة صناعية

فهناك جهاز طوال الوقت يساعد على نبض قلبهم وهناك شيء يحرك الرئة طوال الوقت!

الآن من الذي يفعل ذلك عندما تغمض عينك؟

تخيلوا لو كنا نحن مسؤولون عن أنفسنا، ومسؤولون عن قلوبنا لئلا تتوقف في لحظة وأن الدم لا يقف لأنه لو حصل في واحد فقط من الأعصاب أو واحد من العروق لحصلت جلطة -نسأل الله السلامة- فإذا سبق شاهدتم مصاب بالجلطة، يصلكم أن الجلطة ليس شيء يحصل في القلب من انشطار ونحوه، لكن الجلطة عرق صغير فقط يتجلط فيه الدم!

إذًا من الذي يعتني فينا؟ ونحن من نكون أصلًا عند الله عز وجل؟ ومن الممكن أن يكون الإنسان قد نام على معصية أو على ذنب ويمكن أنه لم يصلّ ومع ذلك يعتني الله عز وجل بهذا الإنسان، إلى أن تنتهي قصة حياته ثم يحاسبه حسابًا عدلًا.

في تكوينك الجسدي انظر لعناية الله عز وجل بكل مراحل حياتك، الطفولة يوم سقطت، وعندما كان من الممكن أن تصاب بحادث سيارة لكن الله سلّم، لمّا مرضت مرض أليم لكن الله اعتنى بك ثم نجوت بأعجوبة، ولو مررت بكل مراحل حياتك ستجد لطف الله عز وجل حاضرًا معك وأنك في لحظات الضراء لم ينفعك أي أحد من البشر ولم ينفعك إلا أنك تمد يدك إلى الله وتقول **يا رب دبرني يا رب ساعدني ووجدت أن عون الله لك كان أقرب من أي أحد آخر..**

فلما نأتي إلى هذا المعنى لا يمكن لهذا القلب إلا أن يحب ربه

لم نرَهُ-سبحانه- نعم, لكننا رأينا لطفه ورأينا أقداره ورأينا عنايته بنا قبل أن نراها في غيرنا ولذلك عندما تجلس مع جدتك أو والدك وكل واحد منهم يقول لك قصة حياته كيف كانت وكيف كانت البدايات وكيف كانت حياتهم وكيف ساروا فتجد وأنت تستمع لشريط الذكريات لطف الله في حياتهم كيف كان!

يقولون: صحيح لم يكن لدينا الذي لديكم لكن المواضيع ميسرة صح! لم يكن لدينا الذي لديكم لكن الأمور كانت أسهل، لم يكن عندهم تلك الأمراض الغريبة التي عندنا، وكانت أشياء بسيطة ممكن أن تُعالج في حين الآن لا يمكن أن تُعالج هذه الأشياء!

إذًا لطف الله عزّ وجل كان حاضرًا لهذا الإنسان منذ بدء الخليقة.

بقي أن نعرف في هذا الحب شيئًا وهو **أن الله فطر قلوبنا على التعلق، على الحب** وأن قلبك لو لم يتعلق بالله فسيتعلق بشيء ما ولا بد، **وعندما نقول ولابد يعني ولابد**.

فلابد لهذا القلب أن يتعلق بشيء فانظر إلى قلبك بماذا وبمن قد تعلّق، وكل واحد منا له مفتاح **فمنا من جعل تعلقه لله عزّ وجل وحبه الأكبر لله فانصاغت كل الحياة في وظيفة في زواج في بيت في عيال إلى آخره... انصاغت كل الحياة وسارت وفقًا لما يُحبه الله** فصار همّه وتساؤله هل هذا يحبه الله عزّ وجل ويرضاه أم لا؟

وهناك شخص آخر عبد لله مسلم، لكنه متعلق بشيء آخر! هناك أناس قلوبهم متعلقة بحب الناس، بثناء الناس, لا يستطيع أن يتحرك ويقوم بشيء إلا إذا كان في ظنه أن الناس سيمدحونه أو سيثنون

عليه ولو ظن في أي قرار سيتخذه أن هذا القرار ممكن أن يؤثر على شعبيته أو يؤثر على سمعته أمام الناس أو نظرتهم له تجد أنه من الممكن **أن يؤجل هذا القرار حتى لو كان هذا القرار هو الصحيح وهو ما يرضي الله عزّ وجل.**

إذًا الشيء المهم هنا أن نعرف أن ما يريده الله أن يتعلق القلب به عزّ وجل وبأمره!

وأن القلب إما أن يتعلق بالله أو سيتعلق بغيره، فمن الممكن أن يتعلق بحب شخص كزوج أو ولد، فممكن تتعلق بولد من أولادك تعلقًا مذمومًا إلى درجة أن هذا الولد، أو هذا الزوج يطلب شيئا في غير ما يرضي الله عز وجل وتجد نفسك تقوم به لأنك لا تريد أن تفرط به!

فهناك فرق بين المحبة الطبيعية محبة الأم لأولادها، والزوجة لزوجها والزوج لزوجه هذه محبة طبيعية، لكن **المحبة التي نتكلم عنها** عندما تأخذ بعدًا آخر ويصبح فيها طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فهذه لا تعتبر حب طبيعي، وإنما تكون تقديم حب مخلوق على حب الله عز وجل!

شخص ما مثلًا متعلق بذنب لشهوة معينه وهذه الشهوة تستهويه دائمًا وهي تصده عن الله عزّ وجل، فهو لا يريد أن يفرط فيها لأنه مستمتع بهذا الذنب ومستمتع بهذه الشهوة فقلبه متعلق بهذا الشيء والسنة الكونية في هذا النوع من التعلق كما هو المعنى من كلام ابن القيم -رحمه الله- أن **أولئك الذين تتعلق قلوبهم بشيء غير حب الله عز وجل مما لا يرضي الله -يعني ذنب معصية شهوة معينة-، فإنما تأتي عليهم أحوال لا هم الذين يستطيعون أن يتركوه ولا هم الذين يستمتعون فيه، من يعرف هذا الشيء ومن يراه في الناس يعرف أنه حقيقة.**

شخص مدمن مثلًا على الدخان وعشرين أو أربعين سنة وهو يدخن، في شبابه كان مستمتع لكن لما كبر الآن وبدأت أمراض الرئة، والقلب يضعف وغيرها يقول أنا الآن أدخن بلا استمتاع ولم يعد يطربني لكن لا أستطيع أن أتركه فهذا الذي حين نقول تأتي عليهم أحوال لا هو الذي يستمتع فيها ولا يستطيع أن يتركها!

ولذلك عندما تتأمل ترى أن الذنب أو المعصية أحيانًا في المرة الأولى والسنة الأولى الشخص يقوم بها وكأنها مغامرة، وأيضا إن ترك شيئا من الخير، أول الأمر يشعر بنوع من الحرية، من الانطلاق، ويجد أن الناس مستمتعة ونحن لم نكن كذلك! وتجده مستمتع أول سنة ثاني سنة وبعد رابع سنة عندما تذهب السكرة ويعود ليفكر أنا ماذا فعلت بنفسي! لمَ فعلت ذلك! الموضوع لم يكن يحتمل، أريد الرجوع!

قد يكون طريق الرجوع صعب **ولذلك لمّا يتعلق القلب بغير الله عز وجل تأتي على المرء أحوال لا يستطيع أن يستمتع بالشيء الذي يقوم به ولا أن يتركه فهذه حال خطيرة جدًا** -نسأل الله السلامة- **هذه مرتبة الحب،** وهو الركن الأول.

أما ركن الرجاء فأن ترجو ما عند الله عزّ وجل وأنت تعمل الخير وهذا الرجاء قد لا تستقبله في الدنيا؛

يعني ألّا ترجو من عملك الصالح رزقًا تراه في الدنيا لكن قد يخبئه الله لك في الآخرة!

ولذلك قد تكون في الدنيا وتعمل بأعمال الدنيا من الخير والصلاح وصلاة وصيام وغيرها وممكن أن تكون أفقر الناس وصحتك أضعف صحة وأبناؤك كل واحد في مكان، **فقد لا يعطيك الله عز وجل جزاؤك معجلًا في الدنيا لكن الله قد يخبئه لك في الآخرة**، وهذا قد يكون أعظم لهذا الإنسان ولذلك سنأتي بعد قليل لحال النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الموضوع.

وأما الخوف فأن لا تخاف أحدًا دون الله

فخوفك الحقيقي هو من الله عز وجل

فلا تخاف من رئيس أن يقطع عنك راتبًا أو أن يقطع عنك رزقًا ولا تخاف من كلمة الحق أن تقولها فتخشى أن يحصل شيئا، فلا تخاف أحدًا دون الله لأن أمرك بيد من؟ **بيد الله عز وجل**

"... وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"(1)

الذي يتعبد الله عز وجل وهو يعلم ألَّا أحد يملك من أمره شيئا إلا الله عز وجل فلا بد أن يعرف أنه لا يخاف أحدًا دون الله.

إذًا هذه الثلاثة لا تجتمع إلا لله عزّ وجل.

فبقي لنا أن نقول هذه العبودية ليست قلب فقط، وهذا الرجاء والخوف والمحبة **لا يمكن أن تكون فقط مشاعر قلبية فهذا كذب!**

فيأتيك من يقول أنا أحب ربي وأنا أحب النبي عليه الصلاة والسلام وأحب الخير وأحب الإسلام لكني لا أطيع الله ولا أقوم بأي شيء من أوامر الله عز وجل، وأفعل أي أمر منهي عنه قد **يؤدي للعن والطرد من رحمة الله مع ذلك أقوم به!**

الإنسان الذي يتحدث بهذه اللغة لا يمكن التصدي له، حتى في مفاهيم البشر لو يأتي ولد فيقول يا أمي أنا أحبك وأنتِ أغلى أم في الدنيا ويكتب فيها قصيدة، لكنه لا يفعل أي شيء مما تريده منه، وأي شيء تريده منه يقوم به بالعكس! ويكون عاق شديد العقوق لأمه يرفع صوته، ويتمرد تقول له يمين يذهب يسار، فهي ماذا ينفعها حبه إذا كان في النهاية شخص عاق؟ بالنسبة لها لا تريد حبه، لكنها تفضِّل الابن الذي لا يكتب فيها قصيدة لكنه يبرها، ويطيع أمرها، ويفعل ما تريده لكن أن يكون حامل لمفهوم "الحب فقط" **فماذا ينفع؟**

إذًا لا يمكن لإنسان يصدُقُك في أحواله يقول لك أنا أحبك لكن لن أقوم بأي شيء من الذي تريده، بل على العكس سأنكّد عليك وسأتمرد عليك وسأضربك وسأطعنك في ظهرك! ما هذا الحب؟

(1) أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

إذًا نحن نقول إن الحب ليس مشاعر قلبيه فقط وإنما لا بد أن ينتقل إلى الجوارح، وأي إنسان يأتي فيقول: أنا متعبد لله بجوارحي والله أنا تحجبت أنا تغطيت أنا والله قصرت ثوبي وأطلقت لحيتي، لكن قلبي أفسد قلب، ولدي في خلواتي ذنوب عظيمة ولا يوجد أي مشاعر بالخوف أو الرجاء أو حتى الحياء من الله عز وجل

فهذه الأمور في هذا القلب ليست موجودة، وإنما أنا حاسد حقود وممكن مغتاب وغير ذلك.

بماذا سينفعك مظهرك من غير أن يكون الداخل أيضًا طاهرا ونقيا!

فإذا كنت لا ترضى هذه المعادلة بأن يكون ظاهرك صالح وباطنك سيء **إذًا نحن لا نقبل أيضًا أن يكون باطنك من الداخل صالحا لكن ظاهرك سيء.**

فالمعادلة من كفين، أنت كعبد مطالب أن تأتي بالاثنين قدر استطاعتك قال تعالى: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾**

نظف قلبك الداخلي ونظف خارجك فأنت بالاثنين فلا بد أن تشتغل على تنظيف نفسك من الداخل بترويض قلبك، وفي المقابل أيضًا تحسن من أعمالك الخارجية، ولذلك لو أتينا ومررنا على مجموعة من الأمور سنجد أن هناك **عبوديّات**، فعندما نأتي إلى عبودية الأذن فماذا أفعل بها؟

لا أسمع إلا ما يرضاه الله عز وجل

فلو سمعت أحدا يغتاب أحدا، أو شخصا يكذب، أو كلام فحش، أو مجون، أو معازف أيًا كانت أنت هنا لديك عبوديات تقوم بها بأُذنك، فالمفترض أن هذه النعمة التي أعطاك إياها الله عز وجل وجعل تركيبها من أعظم تركيب والتي لا تقارن بسماعة **شركة "Apple"** التي نتحدث عنها، وعن سعرها وبكم يشتريها الواحد منا، فأنت لديك تركيب معقد في أذنك فالعبوديات الآن التي تفعلها بأذنك هي أنك تقيها الحرام وتسمع فيها الخير ولا تسمح للحرام أن يمر منها، إذا كان هناك من يغتاب أو من يستهزئ بأحد أو من يلمز بأحد أو من يكذب وأنت موجود فالمفترض أن تحمي هذه الأذن وأن تقوم بواجبك من ذب العرض عن أخيك أو غيره.

والعين فيها عبوديات كذلك ولذلك أنت مطالب بعبودية لكل جارحة من هذه الجوارح

عينك تغضها عن الحرام، وتتعبد الله عزّ وجل بعينك بأن تشتاق وأن تحب الله عز وجل وأن تهاب الله عز وجل؛ فتتحرك هذه العين بدمع ليس من مقطع مؤثر في فيلم أو بنهاية حزينة، لكن شوقًا أو خوفًا أو حبًا لله عز وجل، **نحن نعلم أن من بكى خشية لله عز وجل**؛ حرّم الله عز وجل هذه العين على النار **فقط من اغرورقت عينه** ليس بكاءً سال على وجهه وإنما من امتلأ بدمعة فهذه عين تحرم على النار **لأن العين لا تكذب وإنما هذه المشاعر كانت مشاعر قلبيه في داخله؛ ففاضت بها عينه**.

فعلى كل واحد منا أن يمر على كل حواسه أذنه، عينه، فمه، وجهه، منابت شعره، يده، رجله

بماذا تبطش يدك؟ خطواتك التي تمشي بها! عندما نأتي فنقول إن من طاف بالبيت سبعًا فله هذا الأجر كيف تُحسب الحسنات؟

نعلم أن من يطوف بالبيت كمن أعتق رقبة، لكن هناك شيء إضافي في أجر الطواف ما هو؟

أن كل ما قام العبد برفع قدمه ومن ثم أنزلها تكتب له حسنة وتمحى عنه سيئة وترفع له درجة؛ إذًا خطواتك هذه تحسب، وبالمثل الذين يمشون إلى صلاة الفجر وغيرها وصلاة الجمعة كذلك

فالخطوات تحسب، فلا تظنون أن هناك خطوات تُمحى وتذهب، أو تكون مجرد عبث، خطواتكم كلها حتى التي سارت بكم إلى هذا المجلِس تحسب مسيركم إلى عمل خير أنت تعمله، تعبك، نهوضك من السرير لتأدية صلاة الفجر يحسب، **فلا يوجد شيء تراه عبودية وتقوم به ثم لا تجده لديك، بل ستجده موفورا يوم القيامة.**

إذًا كل هذا مهم أن نعرفه لأنه عندما نقول أنها عبادة إذًا هي ليست مجرد مشاعر قلبية، فعندما

تكلمنا عن الحب والخوف والرجاء وأن الأهم منها عندما نعرف أن هناك معادلة لابد أن نحققها ما بين المشاعر في القلب وما بين العمل في الجوارح، فهذا الكلام مهم بأن يستحضره الإنسان طوال الوقت لأن هناك خاتمة ستحصل وهذه الخاتمة لا يعرف أي أحد متى ستكون

فمهم ألا تؤجل قرارًا في حياتك فتقول بعد سنوات إن شاء الله، في ٢٠٢٥ أنا مقرر كذا.. لا تؤجل الشيء الخيِّر في حياتك إلى فترة لا تعرف متى ستكون لأنه من الممكن أن تنتهي الحياة في لحظة في خلال هذا الأسبوع.

أكيد مر عليكم وفاة الرجل الكبير في السن الفلسطيني اسمه أبو خطاب أو ابن خطاب في الكويت فهو شيخ وقور ومعروف ورجل كبير بالسن والمجلس مليء في مناسبة خطبة لأهالي فلسطنيين , والعريس بجانبه والشيخ يتكلم بكل عافية وبكل صحة وبوجه سمح ويتكلم عن هدي النبي عليه الصلاة والسلام في الزواج وخيركم خيركم لأهله _مثل ما أتكلم أنا معكم الآن_ ومعه اللاقط يتكلم فيه ثم في لحظة قال الرسول عليه الصلاة والسلام أو شيء سيقوله ثم قال **لا إله إلا الله** ونزل اللاقط ومات! فقط!

وانتهى في لحظة فكان الناس يقولون ملك الموت مر في هذا الجمع وفي هذا المجلس الكبير الذين نحن فيه، فمر عليهم ملك الموت واختاره وأخذه، فهل كان يعلم وهو يتكلم أن هذه آخر لحظة من حياته؟ الجواب لا.

ولذلك هذا موقف عشناه الآن في زمن أصبحنا نرى فيه الأشياء بالصوت والصورة للأسف

لكن هذه المواقف قيلت كثيرًا وقرأناها وهناك قصص وفي المقابل عندما نسمع أن مجموعة من الأطباء في الطوارئ أتاهم رجل من الأجانب في حادث سيارة، وكان من الواضح أنه سيموت فبسرعة أخذوه ليعملوا له الإسعافات اللازمة..

فيقول أحدهم أن هذا كان مُمسك فينا مُمسك بالمسعفين وهو يقول:

" Please I don't want to die „please I don't want to die"

يقول لهم "أرجوكم لا أريد أن أموت أرجوكم لا أريد أن أموت!"

فنجد أن هناك فرق بين الحياتين فالأول بكل انسيابية وبكل خِفة خرجت روحه وهو يقول لا إله إلا الله

كأنه شاهد وعرف فقال لا إله إلا الله ونزل الميكروفون منه وانتهت حياته!

ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة فيختم له الله عز وجل بهذه الكلمة

وفي المقابل هذا الشخص الذي يقول لا أنا لا أريد أن أموت لا يزال لدي قائمة من الأشياء التي أريد أن أعدلها في حياتي..

إذًا عندما نتحدث اليوم عن العبودية **من المهم أن نعرف ما الذي نريد أن نفعله في حياتنا ولا تأجلون القرارات إلى لحظة مجهولة في حياتكم، لا تقل أنا لست مستعد، أنا لا أعرف الموعد الأفضل، أنا لا أريد أن أتشجع ثم أرجع في قراري! بل على العكس تشجع وحتى لو تراجعت لكن يراك الله عز وجل وأنت تحاول وأنت تأتي وتقترب ثم تعود، لهو خير لك من أن تنتهي حياتك وأنت لم تحاول أساسًا، ولم يرك الله عز وجل وأنت تحاول في أن تكون أحسن وأفضل**

فإذا عرفنا أن الحياة ممكن أن تنتهي في أي لحظة، فعلينا أن نستشعر أمرًا آخر قبل أن تنتهي الحياة وطوال الوقت نردد هذا المفهوم وهو **أن أعمالنا تُرفع يوميًا في كل فجر وعصر، وترفع أسبوعيا في كل جمعة وترفع سنويًا في شعبان، إلى أن يكون الرفع الأخير عندما يموت الإنسان فتطوى صحيفتك وبهذا يُرفع تقريرك النهائي.**

خلال هذا الرفع اليومي ماذا فعلت؟ ماذا فعلت بالأمس؟ ماذا فعلت قبل البارحة؟ مضت الإجازة لمدة أسبوعين فماذا رُفع لك من أعمال؟ ما العبوديات التي ارتفعت عند الله عز وجل لك أنت بالذات؟ عدد أعمال الخير التي قمت بها... قمنا أكلنا شربنا خرجنا, لا أتحدث عن هذا كله أنا أتكلم "**أين عبودياتك**" التي قمتِ بها؟ اضرب أربع وعشرين ساعة في أربعة عشر يوما وانظر كم ذهب من عمرك الآن؟ ما العبوديات التي كان لِزامًا أن يقوم بها العبد؟ ولذلك نحن نتحدث في هذا الدرس لأننا نعلم أننا مقبلين على بداية فصل دراسي فمن المهم ألا تجعل مواسم عمرك وقربك من الله عزّ وجل في رمضان واستعداد لرمضان فقط ومن ثم بداية سنة ونهاية سنة!

بل قسّم حياتك وقسّم السنة

فإذا كانت فصلا أولا وفصلا ثانيًا، ضع لنفسك مراحل وقل ما الذي حققته في هذه المرحلة، طيب تبقى لي نصف السنة، فهناك أمل قبل أن يقدم رمضان ورمضان بعده صيف طيب هذا أيضًا موسم ثانٍ فأنت غير المواسم الفاضلة التي ستأتي، قسم عمرك وقسم السنة إلى مواسم وانظر ما الأمر الذي قدمته لله في عبودياتك ما الذي خرج وصعد من أمرك إلى الله عز وجل.

لننظر في حياة النبي عليه الصلاة والسلام ونرحل في عبودياته عليه الصلاة والسلام وكيف كان يتعبد ربه، **أولًا** الله عز وجل لم يأمر النبي عليه الصلاة والسلام بأمر كما أمره بقوله سبحانه: **﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾** أي أن عبادة الله لا تأتي في مرحلة دون مرحلة ولا يُقال أنا تعبدت الله عز وجل في شبابي والآن أنا من القواعد من النساء لا أحتاج أن أتعبد، الصلاة سقطت عني فقد صليت بما يكفي خلال أربعين سنة أو خمسين سنة! لا يوجد شيء بهذا المفهوم!

مات النبي عليه الصلاة والسلام وعمره ٦٣ سنة ومع ذلك بقي عابدًا لربه إلى آخر لحظة من حياته فإذا كان هو النبي عليه الصلاة والسلام فغيره أولى.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ إذًا ونحن شباب ونحن شيبة ونحنُ سود الشعرِ ونحنُ بيض الشعر ونحن بكامل صحتنا أو في آخر مراحل الضعف! فيبقى الإنسان متعبدًا لربه ولسانه ذاكرا لله عز وجل إلى ذلك العمر، فما الذي فعله النبي عليه الصلاة والسلام حينما جاءه هذا الأمر؟

في الحديث: **"أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرْسَلَ إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ الْمَلَكُ: إِنَّ اللهَ يُخَيِّرُكَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا، وَبَيْنَ أَنْ تَكُونَ مَلَكًا، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جِبْرِيلَ كَالْمُسْتَشِيرِ، فَأَشَارَ جِبْرِيلُ بِيَدِهِ أَنْ تَوَاضَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَكُونُ عَبْدًا نَبِيًّا، .."**(1)

(1) أخرجه النسائي، وقال الألباني: ضعيف.

فالله يخيره الآن بين أن تكون نبيًا عبدًا أو نبيًا ملكًا، فلو اخترت أن تكون نبيًا ملكًا فلك سلف مثل من؟ مثل نبي الله سليمان-عليه السلام- فسخر الله له الريح والجن والحيوانات لأنه طلب ذلك بقوله هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي، فإذًا هو طلب الله عز وجل أن يكون له ملك لا يشبهُ ملك ملوك الدنيا فلو طلب النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الملك أيضًا لرزقه الله ممكن بأضعاف مضاعفة.

والخيار الثاني ألَّا تكون ملِكًا نبيًا لكن تكون نبيّا عبدًا تجوع كما يجوع الناس وتعيش كما يعيش الناس وألا تكون حياتك حياة الملوك فلما جاء هذا التخيير إلى النبي عليه الصلاة والسلام نظر النبي عليه الصلاة والسلام إلى جبريل-عليه السلام- كالمستشير فالتخيير صعب -وأول مرة- فنظر إلى جبريل يعني ما الأفضل ما الأحسن فقال له جبريل -عليه السلام-:

(أشار إلي) طبعًا لا يملك جبريل أن يقول له أو يعلمه، "فَأَشَارَ جِبْرِيلُ بِيَدِهِ أَنْ تَوَاضَعَ، فَقَالِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَكُونُ عَبْدًا نَبِيًّا، .."(1)

وفي الأصل هذه هي اختيارات النبي عليه الصلاة والسلام في السابق لما أعطي في الإسراء والمعراج كأسًا من اللبن وكأسًا من الخمر **فاختار اللبن فقال: اخترت الفطرة**

فكانت اختياراته موافقة أصلًا لشخصية النبي عليه الصلاة والسلام

فلو تأملنا.. هل الملك ذهب عن النبي عليه الصلاة والسلام أو خبئ له؟ خُبئ! لكن أين؟

(1) أخرجه النسائي، وقال الألباني: ضعيف.

في الشفاعة العظمى، عندما لا يستطيع أي نبي من الأنبياء أن يطلب من الله شيئا! وعندما يموج الناس يوم القيامة فيذهبون إلى آدم ثم إلى إبراهيم وكل واحد منهم يذكر ذنبا عنده فلا يكون أحد ثمّ **يأتون للنبي عليه الصلاة والسلام ثم يقول أنا لها أنا لها فيذهب فيسجد تحت العرش ويحمد الله عز وجل بمحامد إلى أن يرضى الله عنه ويقول يا محمد ارفع رأسك وسل تعطَ واشفع تشفع** إذًا صحيح الآن لم يطلبها النبي عليه الصلاة والسلام لكنها بقيت له في الآخرة في ذلك الموطن الذي لم يكن لأي أحد من الأنبياء الآخرين، ولذلك عليه الصلاة والسلام حينما ندعو له عند الأذان **ونقول وآته الوسيلة والفضيلة**

فما هي الوسيلة والمقام المحمود؟ هذا هو المقام المحمود والمنزلة العظمى

فعرف النبي عليه الصلاة والسلام أنه صاحب المقام المحمود ونزل في سورة الفتح أيضًا أن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ليستِ الذنوب السابقة فقط وإنما الله عزّ وجل غفر لك الذنوب القادمة، فحتى لو تذنب يا محمد في مستقبل الأيام غفرت لك فتأتي عائشة -رضي الله عنها- إلى النبي عليه الصلاة والسلام وهو قائم حتى تفطرت قدماه ولم تقل قائم لكن قالت يقوم الليل حتى تتفطر قدماه! نحن لا نستطيع أن نستوعب إلى أي درجة كان يقوم النبي عليه الصلاة والسلام إلى درجة كانت تتشقق رجله من الأسفل! نحنُ نفهم الجفاف الذي يأتي نفهم أن تمشي حافيًا لكن ما معنى أن قدمه تتشقق من الأسفل من طول الوقوف **فتقول عائشة -رضي الله عنها- كان يقوم فيطيل الوقوف فقالت له يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! يعني لماذا تفعل كذا يا رسول الله بنفسك؟ يعني الإنسان يقوم بذلك عندما يكون خائفًا، عندما يرجو من الله، عندما يكون لديه طلب شديد فيريد أن يتوب الله عليك! وأن يغفر له! لكن كل هذا متحقق للرسول صلى الله عليه وسلم، فقال لها: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»**(1)

هذا شكره لربه يقف ويطيل الوقوف في صلاة الليل شكرًا فقط!

(1) أخرجه مسلم، صحيح.

ومثل هذا الحديث ورد عن بلال رضي الله عنه أيضا حينما أراد أن يوقظ النبي-عليه الصلاة والسلام- لصلاة الفجر فوجد النبي عليه الصلاة والسلام واقفًا يقوم الليل وهو يبكي فانتظر بلال فلم يكن يؤذن إلا بعد أن يأخذ الإذن من النبي عليه الصلاة والسلام فانتظره فوجد حالا غريبة للنبي عليه الصلاة والسلام ولصوته في صدره حشرجة ويبكي في قيامه فلما انتهى سأله بلالٌ -رضي الله عنه- ، فليست عائشة -رضي الله عنها- التي روت هذا الحديث وليست عائشة التي رأته فقط بل كانت هذه حال النبي عليه الصلاة والسلام دائمًا فجاءه بلال فقال:

(يَا رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)(1)

يعني لماذا تبكي؟

"قَالَ بلال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... }»(2)

إذًا شكره لله عز وجل، امتنانه لله عزّ وجل وتقديره لله عز وجل حق قدره هو الذي جعل النبي عليه الصلاة والسلام يعبد الله عز وجل!

قلنا أنه -عليه الصلاة والسلام- كان يطيل الليل ونعرف نحنُ أيضا حديث حذيفة -رضي الله عنه- حينما قال:

(صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ...)(3)

(معناها سيصلي بسورة البقرة في ركعة)

(1) أخرجه مسلم، صحيح.
(2) أخرجه ابن حبان، وقال الألباني: حسن.
(3) أخرجه مسلم، صحيح.

(ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا...)(1) (مترسلًا يعني يتلو بالآيات ويمد الآيات ليست القراءة سريعة)

(يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ-يسأل الله الجنة-، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ) (2) معناه هو عليه الصلاة والسلام لا يقرأ فقط قراءة، لا! معنى ذلك أنهُ يتلوها ويتغنى بها ويتفاعل! معناها أنهُ إذا مرّ بآيات فيها ذكر للنار يتعوذ من النار وإذا حوت آيات على الجنة يسأل الله عز وجل هذه الجنة فـ **(...، ثُمَّ رَكَعَ، ...)** (3) بعد البقرة وآل عمران وسورة النساء ركع

(...، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ...) (4) يعني ركع ركوع كأنه ركوع من قرأ البقرة وآل عمران والنساء

(...، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ.) (5)

فلم يقرأ البقرة وآل عمران والنساء ثم ركع بسرعة وسجد بسرعة حتى ينتهي! لا! وإنما يفعلها وهو مستلذ بمناجاة الله عز وجل فلما ركع ركع لله عز وجل، لما نحسب هذا الوقت كله الذي قرأ به البقرة وآل عمران والنساء ثم ركع بمثل تلك الفترة ثم سجد سجدتين مثل ذلك فإن هذا لا يقل عن ست ساعات هذه ركعتان أخذت منه -صلى الله عليه وسلم- ست ساعات.

(1) أخرجه مسلم، صحيح.
(2) أخرجه مسلم، صحيح.
(3) أخرجه مسلم، صحيح.
(4) أخرجه مسلم، صحيح.
(5) أخرجه مسلم، صحيح.

وحتى تُقدّر هذا الكلام انظر إلى حالنا ونحن نصلي التراويح إحدى عشرة ركعة في كم؟ في أقل من أربعين دقيقة! أربعون دقيقة فقط ولو أن الإمام أطال عن الوجه والنصف وأكمل وجهين تشعر بتغير الوقفة لدى الناس وربما جروا الكراسي بمعنى أننا قد أطلنا! فهذا وجه ونصف أو وجهين

تخيلوا النبي عليه الصلاة والسلام وهو الذي أدركه الموت وهو في عمر الستين! يعني نتكلم عن شخص تجاوز الخمسين سنة ويصلي هذه الصلاة.

إذًا النبي عليه الصلاة والسلام كان يذكر الله عز وجل وكان يتعبده هذه العبودية،

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: **«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»**(1)

تخيل لو مثلًا سأقوم بوصف ساره مثلًا وسأقول ساره تذكر الله في كل أحيانها وأنا صديقتها الآن معناه أنها وهي تطبخ هي تذكر الله عز وجل وهي مع أبنائها تذكر الله عز وجل وهي تقوم بأي شيء تذكر الله عز وجل ونحنُ في طريق السوق تذكر الله عز وجل ونحنُ متجمعون على الطعام تذكر الله عز وجل، لا يمكن أن إنسانا يصف إنسانا بأنه يذكر الله في كل أحواله إلا عندما يراه فعلًا في سفر وفي حضر وفي حالة سراء وفي حالة ضراء وهو يذكر الله في كل أحيانه.

كانوا يعدون للنبي عليه الصلاة والسلام في المجلس الواحد مجلس مثل هذا في نصف ساعة

كانوا يعدون له أكثر من مائة مرة يستغفر الله عز وجل، وهو الذي لا يجلس إلا وهو داعٍ أو يدعو أحدًا أو يتناقش مع أحد، وفوق هذا كله يطعّم هذا باستغفار بينه وبين الله عز وجل.

إذا هل هذا فقط للنبي عليه الصلاة والسلام؟ نقول هو نبي وبالتالي من الممكن أن نتقبل هذا الشيء ولكنه أيضا ربّى صحابته على مثل هذا، وتعالوا ننظر إلى حال الصحابة الذين تربوا على تربية النبي عليه الصلاة والسلام وكيف كانت حالهم هم مع هذه العبودية، لماذا نأخذ أمثلة منهم؟ لماذا ندخل إلى هذه المنطقة؟ لأني أريد أن أوصل لكم نقطة معينة

(1) أخرجه مسلم، صحيح.

وهي:

أن العبوديات ليست شيئا في القلب فقط وأنه لا بد أن يكون لها أثر وهذا الأثر لا بد أن يكون ظاهرا عليك في حياتك وأن الإنسان لا يستطيع أن يتعبد الله بقلبه دون جوارحه ولا بجوارحه دون قلبه

الاثنان لا بد أن يعملا معًا طوال الوقت.

هذان اثنان من الصحابة رضوان الله عليهم وهما **عباد بن بشر وعمار بن ياسر** أمرهما النبي عليه الصلاة والسلام أن يحرسا الجيش في يوم من الأيام وكان الجيش في معسكر وناموا في ليلة من الليالي فقام الاثنان للحراسة وكانت هذه عادة الجيوش في ذلك الوقت فعمار بن ياسر وعباد بن بشر هما الحارسان فتناقش الاثنان وقالوا من يمسك المناوبة الأولى فقال عباد -رضي الله عنه- تريد أن أكفيك أول الليل أم آخره؟ يعني حتى نتناوب لئلا يستغرق أحد منّا في نومه فأنا أنام أولًا وبعدها أنت تنام أم ما الذي تريده؟

فقال عمار: بل أنام في أوله، فمن الذي سيقف للحراسة أولا؟ عباد بن بشر

فقام عباد بن بشر يحرس الجيش وصار يدور في هذا المكان ووجد أن المكان هادئ ولا يوجد شيء والليل هادئ **فتحركت أشواقه لمن؟ لله عزَّ وجل تحركت أشواقه في أن يصلي ركعتين**، فنظر على الامتداد ولم يرَ شيئًا غريبًا والمهم أن هناك من يقوم بالحِراسة فلم يكن هناك جَلبة أو صوت خيول ليوقظ البقية، فبدأ يصلي ركعتين بسورة مريم فأخذ يرتلها، وكان هناك أحد من المشركين يُلاحق المسلمين ويريد أن يقتل منهم أي أحد ليأخذ بثأر قريب له مات في معركة سابقة فأتى يُريد أن يقتل أي أحد ويُغير على أي أحد، فأتى وقد باتَ معهم في منطقة قريبة فتسلل بين الشجر فوجد هذا واقفًا فعرف أن هذا هو الحارس فلا يستطيع أن يدخل أو يقترب

فقال: **هذا الحارس سأقتله فجأة من الخلف وأخذ السهم مع القوس**، ورماه طبعًا وأنا عندما أقول لكم سهم فأنا لا أقول لكم إبرة ولا أقول لكم دبوس! سهم يعني سهم، يعني رأسه هذا الحديد الذي هو أكبر من حرف v أو الرقم V وهذا الحديد أو السهم مصمم من الأعلى بهذا الشكل ليخترق اللحم وعندما تريد أن تُخرجه لا يخرج فلا تستطيع أن تُخرجه إلا بقطعة من لحمك معه! وإن دخل في عظم معناها أنه لن يدخل في عظمة إلا وهو كاسرها، فجاءه من الخلف فغرزه في صدره!

جاءه سهم في صدره وهو يصلي، فجاء إلى السهم فكسرها ورماها، ولم يتحرك من صلاته فاستغرب المشرك! طبعًا هو لا يشاهد الحدث بالضبط فقام وأخذ قوسه مرة أخرى ورماه بسهم ثانٍ فهو من الخلف لا يستطيع أن يأتي من الأمام فدخل في ظهره للمرة الثانية! نتحدث عن عامود فقري أكتاف دخل السهم في لحمه وهو يصلي فأخذه فكسره فرما به وأكمل صلاته والدم يفور من كل جهة وجاء المشرك للمرة الثالثة وضربه فما تحرك؛ ففر المشرك وخاف من هذا الحارس الذي لم يتحرك من ألم السهم، معناها أن هذا غير طبيعي فولّى هاربًا هذا المشرك

فعباد بن بشر لما ضُرب بالسهم الثالث **ما سلّم ولا فزع وإنما أكمل صلاته ركع، سجد، قام، ركع، سجد صلاها صلاة خفيفة حتى ينتهي فقط** ثم أيقظ صاحبه أيقظ عمار بن ياسر فما التفت له عمار إلا والدم عليه في كل جهة ورأى الثلاثة أسهم في صدره فقال له رحمك الله هلا أعلمتني؟

اسمع الجواب

قال يا عمار كنت أناجي ربي وأقرأ القرآن فوالله لخروج روحي من جسدي أهون عليّ من أن أقطع صلاة دخلتُ فيها ووالله لولا أن أضيع ثغرًا من ثغور المسلمين ما أتممت الصلاة خفيفة

يعني لولا أني مستأمن أصلا على الجيش وأخاف أن هذا يكون خلفه أمر ما، لم أكن خففت الصلاة وقطعت صلاتي وأنهضتك **فلاحظوا هو يقول خروج روحي!** وموتي في صلاة أهون عليّ من أن أقطع صلاة كنت فيها مع الله عز وجل أو بمناجاة كنت أناجي فيها الله عز وجل

إذًا لا عجب أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يصلي ست ساعات فتكون خفيفة على قلبه إذا كان هذا الصحابي من آحاد الصحابة ليس أبا بكر أو عمر أو عثمان رضي الله عنهم أجمعين وإنما عباد بن بشر رضي الله عنه من فيكم سمع به؟ ومن الذي لم يسبق أن سمع بهذا الاسم؟ ومع ذلك لم يطق أن يقطع صلاته لمجرد هذه السهام

ولذلك لما امتدح الله عز وجل صحابة النبي عليه الصلاة والسلام قال عنهم: **﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ﴾**

سيماهم فى وجوههم أى أن أثر العبادة بادٍ عليهم

والسمة العلامة, وهي ليست التي على الجبين المنطقة السوداء الخشنة ربّما، هذه ليست المقصودة لكن السمة في الوجه كما قال مجاهد: هو الخشوع والوقار والتواضع.

إذًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود هو ذلك البهاء الذي يجعله الله عز وجل على وجوههم فليست هي العلامات الحسية ولا الناس التي تقوم بحكّ الجبهة حتى تخرج، لا! وإنما هذه السِمة في وجوههم في البهاء الذي يكسو وجوههم والنضرة التي قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً ...)** (1)

وفي الآخرة تتحول هذه السمة في هذه المواطن إلى نور حقيقي فمتى سيكون حقيقيًا؟ في الآخرة تتحول إلى نور في جبينهم في أماكن سجودهم وفي مفاصلهم.. الأماكن السبعة تتحول إلى نور، وأيضًا أماكن الوضوء **(إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ)** (2)

(1) أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.
(2) أخرجه البخاري، صحيح.

فكأنه يأتي ومواطن الوضوء التي كان يتوضأ فيها ومواطن السجود لها نور يوم القيامة, فهذه الآثار بادية ولا بد أن يظهر أثر العبادة عليك، ولذلك لما قلنا قبل قليل وقررناها في بداية الدرس أنه لا بد أن يعمل القلب وتعمل الجوارح **فالصحابة رضي الله عنهم فهموا من النبي عليه الصلاة والسلام هذه المعادلة،** فكان أصحابه يقومون الليل ويحاولون أن يقوموا كما يقوم النبي عليه الصلاة والسلام

فهذا مسرور من التابعيين وليس من الصحابة يعني الجيل الذي يلي الصحابة كان يقوم تقول زوجته حتى تتورم قدماه، وهذا شعبة أيضًا من المحدثين كان يقوم الليل حتى تبكي امرأته رحمةً عليه من كثرة قيامه إلى درجة أنها تبكي عليه شفقةً عليه! تبكي من طول وقوفه, وهذا سفيان كان من المحدثين كان يقوم طويلًا ثم يستلقي ويرفع رجليه على الجدار ليعود الدم من طول القيام يعني هؤلاء من الجيل الثالث وليس الصحابة!

لما كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول: **(خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ...)** (1) هؤلاء الثلاثة الذين يلونهم، فكان يصلي الليل ثم يرفع رجله على الجدار حتى يعود الدم إذًا لم يكن الكلام عن هؤلاء أنهم أناس مسلمون فقط بجوازاتهم أو فقط خُتم لهم!

كان هناك علاقة تعبد بينهم وبين الله عز وجل

قال ابن عجلان أحد السلف **أن الله عز وجل جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه** فجعل قوة المؤمن أين؟ في قلبه وليست في عضلاته وليست في جوارحه وليست في أعضائه، انظروا إلى المعادلة التي قالها:

ألا ترون الشيخ يكون ضعيفًا فيصوم الهواجر، ويقوم الليل والشاب يعجز عن ذلك!

(1) أخرجه البخاري، صحيح.

ترى المرأة الكبيرة في السن وعندها حبوب ضغط ورروماتيزم وممكن تكون مصابة بالسكر وفي حال صعب ومع ذلك تصوم وتقوم ولها نصيب من العبادات وربما تكون محتاجة للنوم، وترين في المقابل الفتاة في كامل صحتها وعافيتها وشبابها ولا تستطيع أن يمر الصباح إلا وقد شربت قهوتها بينما لا تستطيع أن تأخذ ربع أو نصف ساعة قبل الفجر لتصلي ركعتين أو تصليها قبل أن تنام، فتشعر أن هذا الشيء ثقيل عليها وطويل!

فلذلك يقول ابن عجلان: جعل الله قوة المؤمن في قلبه

القضية ليست قضية صحة وليست أن عضلاتك تتحرك أو لا تتحرك، أو أن مفاصلك تتحرك أو لا!

القضية هي هل الله جعل تلك القوة في قلبك أم لا؟ فإذا كان كذلك فالجوارح بعدها أهون.

الحسين بن يزيد كان يلقب بالقوي لقوته في العبادة قدم مكة فطاف في يوم واحد سبعين أسبوعا! سبعون أسبوعا يعني سبعون طوافا وكل طواف سبعة أشواط يعني اضرب سبعة في سبعين، استوعبتم! الآن في يوم واحد طاف سبعين أسبوعا تذكرون الفضيل بن عياض أخذنا قصته عابد الحرمين وكان من الملازمين للحرمين،

يقول الفضيل **فكسرت ذلك يعني حسبت كم تكون النسبة** فقدرت المسافة التي قطعها في سبعين طوافًا فإذا هي سبعة فراسخ، سبعة فراسخ يعني أربعون كيلو متر، أربعون كيلو متر قد تقول يا الله سبعون طوافا وكل طواف سبعة أشواط، هذا كم يعني؟ نحن نتكلم عن 490 شوطا طافه حول الكعبة، وأنت ربما تجده كثير!

وقد نقول والله عزّ وجل لم يكلف بذلك وإنما طواف واحد فقط!

فعندما تأتي للأشخاص الرياضيين والذين يتدربون والماراثونات والذي يسعون للميدالية الذهبية وغيرها تجد أن أربعين كيلو متر هذا شيء عادي جدًا في حياته وأنت من الممكن أن تشجع أبناءك على هذا ليكون إنسانا رياضيا على مثل هذا، فممكن أن تتغير الآن النظرة لكن عندما قلنا أنه طاف أربعين كيلو متر عبوديّة لله عزّ وجل استهجناها، وقلنا أنها كثيرة ولماذا يفعل كل ذلك! سبعون! لم يكلف الله عزّ وجل بذلك!

لكن! هو كان يستمتع بمناجاته لله عزّ وجل.

تخيل أنك دخلت الحرم، ولم يكن فيه إلا قليل جدًا والطواف خفيف تتوقع أنك كنت ستستطيع أن تُمسك نفسك ولا تطوف طوافا ثانيا وثالثا ورابعا ... نحنُ من الممكن أننا حُرمنا منها لأن المكان مزدحم والطواف طويل وفيه كثير من الجَهد مع ازدحام الناس، لكن تخيل أتيتها في وقت وأنت تمشي وتمسك الكعبة!

تستطيع أن تطوف سبعة أشواط، ثم تجلس وتقرأ القرآن وإذا نظرت للكعبة التي أمامك تقول لماذا لا أطوف طوافا ثانيا، لماذا لا أطوف طوافا ثالثا؟

تجد أن الموضوع أسهل وأبسط لأنه في عبودية لله عزّ وجل..

ويكفي أنّه في كل خطوة تقوم بها تُمحى سيئة وتُكتب حسنة ويرفع لك درجة،

هؤلاء لم تكن عباداتهم في الصلاة ولا الصيام فقط، كانت حقيقةً مشاعرهم مع الله عز وجل وعبودياتهم إلى درجة أن أنس بن النضر -رضي الله عنه- صاحب الكلمة المشهورة:

(ليرين الله ما أصنع)

لما ذهب يقاتل حتى استشهد بعدها **فوجدوا فيه بضعة وثمانون رمية**، تذكرون لما أخذنا هذه القصة وقلنا بضعة وثمانون يعني كم؟ ماذا تتخيل؟ كم رمية سهم؟ كم طعنة رُمح؟ كم ضربة سيف! كم تقطع من ملامحه! كيف تغيرت! ولم تعرفه إلا أخته ببنانه، ببنانه!

يعني إصبعه وقد كان به علامة مميزة بإصبعه وهو الشيء الوحيد الذي بقي في جسده فاستطاعت هي أن تراه، **ما عدا ذلك كل ملامحه تغيرت لأنه ضُرب من كل جهة.**

طيب ما الذي يجعله يُصاب بكل هذا! لم يضربوه وهو ميت أليس كذلك؟ يعني أنه ظل في سبيل الله يدفع حياته إلى أن مات في آخر رمق إلى درجة أن أخته لم تعرفه!

خالد بن الوليد-رضي الله عنه- المعروف بسيف الله المسلول يقول **لقد انقطعت في يدي في يوم مؤتة يعني في واحدة من المعارك تسع أسياف**، انقطعت فيه يعني ظل يقاتل إلى أن انقطع فيه ماذا؟ بلاستيك؟ ورق؟ انقطع فيه حديد.. حديد! ضرب بحديد، سيف من حديد ومع ذلك ظل في هذه المعركة إلى أن تكسرت في يده تسع أسياف من الحديد ولم تثبت معه إلا صحيفة يمانية يعني سيف يماني هو الذي ثبت معه إلى آخر المعركة

ويقول لقيت كذا وكذا زحفًا وما من جسدي شبر إلا وفيه ضربه بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم وفي بدني بضع وثمانون وها أنا ذا أموت في فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء، يقول يعني لا نامت أعين الجبان الذي لا يقاتل لأنه خائف من الموت، ها أنا ذا لا يوجد في جسدي شبر إلا وفيه رمية بسهم أو طعنة برمح أو بغيرها، ومع ذلك ما كتب الله له أن يموت في ساحات المعارك وإنما كتب الله له أن يموت في فراشه، طبعًا **هو يقول هذا الكلام تواضعًا** وإلا من سأل الله الشهادة بصدق كتبها الله له.

الزبير بن العوام-رضي الله عنه- كان معروفا بشجاعته

فلما كان يوم اليرموك -وكانت هذه المعركة حافلة- فلما كانت هذه المعركة قال له أصحابه الذين كانوا معه، هم يعرفون الزبير ليس مثل أي شخص ولذلك الخلفاء كانوا يقولون لا تؤمِّروا الزبير فإنه مهلكة! مهلكة يعني لا يحسب حساب من خلفه -بسبب شجاعته-

فأصحابه الآن في المعركة حين اشتدت وبدأ القتال يتزايد قالوا له يا زبير ألا تشد فنشد معك؟

أي هيا! شُد اجعلنا نقتحم في صفوف الكفار.

طبعًا المعارك في ذلك الوقت ليست مثل الآن، ربما يكونون جبناء وعن بعد وطيارات وأمور للاستشعار عن بعد، لا!

المعارك كانت وجهًا لوجه، سيفا بسيف، رمحا برمح! يقاتلون في مكان وأنت ليس لديك أي سلاح إلا الذي بيدك وتقاتل الذين أمامك ومن الممكن أن تأتيك طعنة في ظهرك! فقالوا له ألا تشد فنشد معك؟ فقال لهم: إن شددت كذبتم، يعني أنا سأشد لكن إذا أنا شددت أنتم لن تتحملوا وستُكذبون أنفسكم، فقالوا لا بل سنفعل.. يعني سنقتحمهم وسنفعل معك؛ فشد الزبير فشق صفوف الروم حتى جاوزهم إلى الطرف الآخر، وحين نقول شق صفوفهم، لا تتخيلوا معي أربع صفوف تخيلوا 250ألف شقهم الزبير إلى أن وصل لخلفهم فالتفت فلم يجد معه أحد أي أصحابه الذين قالوا: شُد وسنشد معك، فبناءً عليه خرج وشد وبدأ يقاتل ويقاتل في هذه الصفوف واقتحم 250ألف إلى أن وصل إلى الجهة الثانية فلم يجدهم معه، لأنه كان المفترض أن يصلوا هناك ويعملوا إحاطة لهم، فماذا فعل؟ رجع مجددًا وفي رجوعه ضُرب ضربتين على عاتقه، فانضرب ضربتين بالسيف من هنا ومن هنا وبينهما ضربة في بدر!

الآن اليرموك أين؟ في عهد من؟ لاحظوا أصبح فيه ثلاث ضربات في أكتافه فيقول ابنه عروة بن الزبير فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب بها وأنا صغير، اندملت الجراح وبقيت الآثار في الكتف، وبقيت الآثار عند الله سبحانه.

هؤلاء لم يكونوا أناسا يمثلون أو أن حبهم كاذب أو حبهم لهذا الدين حُب مُزيّف، ولم يكن يمد قدمه إذا كان الناس كلهم معه، وإذا رأى الناس بضد ذلك أو لم تمش معه أو القرار غير صحيح؛ تراجع.

لم يكونوا يفعلون ذلك وإنما كانوا في سبيل الخير، يرمون بأنفسهم.

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لما دخلت حِلَق المُغفَّر في وجه النبي عليه الصلاة والسلام

في يوم أحد كان النبي عليه الصلاة والسلام **لابسٌ المغفَّر** وهي خوذة من الحديد تلبس من الأعلى لتحمي الرأس ، وهي مكونة من مجموعه من حلِق الحديد فمع مجموعة الضربات والانهزام الذي صار في صفوف المسلمين، سقط النبي عليه الصلاة والسلام في واحدة من الحفر ومن بين الأحداث أن حلقات هذه الخوذة التي كان النبي عليه الصلاة والسلام يلبسها دخلت في وجنته من الجهتين فتخيلوا حديد يدخل في وجنة النبي عليه الصلاة والسلام أي في لحمه فجاء الصحابة يريدون أن ينزعوها، فتخيلي أنتِ بيدك تنزعين الحديد فيخرج لحم النبي عليه الصلاة والسلام مع الحديد

فوقفوا وأتوا بشيء آخر مثل الحديدة حتى ينزعوا تلك فوجدوا أنهم يجرحون وجه النبي عليه الصلاة والسلام، فجاء أبو عبيدة بن الجراح جريًا لما عرف أن النبي عليه الصلاة والسلام أصيب، فلما رأى هذه مغروسة في وجه النبي عليه الصلاة والسلام لم يُطق ذلك، **لأن حبه وحب الصحابة لم يكن كاذبًا ولم يكن حُبهم وفداؤهم للنبي عليه الصلاة والسلام كلاما فقط!** وعندما تأتي الحقيقية لا يكونون رجالًا، لا! فجاء إليه ووجد أن كل تلك الحالات تجرح النبي عليه الصلاة والسلام فحبًا بهِ أخذه وقام وجعل تلك الحديدة بين أسنانه وبأرقّ ما يمكن أن تكون بدأ وكأنه يأخذ الحلقة ويشدها بأسنانه، فيشدها كذا بأسنانه فقط حتى لا يأخذ لحم النبي عليه الصلاة والسلام فمسك الحديد بسنه وبدأ مُحاولًا أن يرفعها من وجه النبي عليه الصلاة والسلام بكل قوته إلى أن سقط فلما سقط هو

تخيل أنه يجرّ الحديدة بكل قوته، فسقط على ظهره وسقطت ثنيته! وهي من أقوى الأسنان كم تحمل من الألم؟ أنت حرّك سنّك هي تتحرك بسهولة؟ لا لأنها الثنية والثنية أين عصبها؟ عظام السن في الأعلى إلى أين؟ **فتخيل أن حُبه كان للنبي عليه الصلاة والسلام عظيمًا إلى درجة أنه ما اهتمّ لألمه الذي يتألم به فشدّ شدّ الحلقة إلى أن سقط على ظهره من قوتها وخرجت الحلقة وسقطت معها سِنُّه.**

ثم هل انشغل بأسنانه وقال سنّي انكسر وانشغل بذلك؟ لا وإنما استدار مباشرة للجهة الثانية للحلقة الأخرى التي دخلت من الجهة الثانية وبدأ يأخذها ويعض على الحلقة بأسنانه وبكل قوته إلى أن سقط على ظهره وخرجت الحلقة وسقطت ثنيته الثانية، فكان أبو عبيدة الجراح "أهتم"، أهتم يعني التي سقطت أسنانه من الداخل، فكان يُقال: فما رؤي أهتم أجمل من أبي عبيدة رضي الله عنه، **فما كان حب هؤلاء للنبي عليه الصلاة والسلام حُب كاذب.**

في نفس المعركة تعرفون طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه؟

كان يصد عن النبي عليه الصلاة والسلام كل ضربات الأسهم فتحوّل إلى قنفذ، إذا تذكرون في غزوة أحد حين رما طلحة بجسمه كله للنبي عليه الصلاة والسلام

فجاءت الأسهم كلها عليه فتحول ظهره إلى مثل القنفذ، فقام المشركون يبحثون عن أي مكان آخر، فهو الآن رمى نفسه على النبي عليه الصلاة والسلام لئلا تأتِ السهام في ظهره ولا تُصيب النبي عليه الصلاة والسلام.

فوجد طلحة أن هناك من يُصوّب بسهمه من جهة أخرى لا يصل إليها فمدّ يده بطريقة تعتبر أقصى شيء يستطيع أن يمد يده فيها، فمدّ يده بتلك الطريقة فأصابه السهم في كفه فسقطت أصابعه وانشلت يده رضي الله عنه! يقول قيس بن حازم رأيتُ يد طلحة التي وقى بها النبي عليه الصلاة والسلام، وقد شلت.

الآن نحنُ دائمًا عندما نقرأ في قصص الصحابة لا نقرأ هذه الزاوية وإنما نقرأ انتصاراتهم ومعاركهم.. ونقرأ من استشهد منهم -رضي الله عنهم-، ولكن الذي ما زال حيًّا بعد تلك المعارك كيف كانت حياته؟ أبو سفيان رضي الله عنه هل تعرفون أنه فقئت عينه في حُنَين وفقد عينه الأخرى في اليرموك؟ فعاش بعدها أعمى عيناه سقطت في المعارك، وما صده أنه فقد عينًا واحدة فقال سقط عني القتال ولن أجاهد في معركة أخرى!

ذهب وجاهد في معارك أخرى إلى أن فُقئت عينه الثانية، هؤلاء إذًا كان هناك أثر لعبودياتهم لله عزّ وجل وليست القضية أنهم كانوا يسيرون حاملين تلك المعاني دون أي مشاعر قلبية.

حينما نأتي لخشوع القلب يأتي ذكر عمر رضي الله عنه وكانوا يقولون دائمًا عمر كان في وجنتيه مثل سير النعل من بكائه، فكيف من الممكن أن يخط الدمع من البكاء إلى درجة أنه يكون هناك خطين مثل سيور النعل في وجهك!؟ كيف هذه؟ لا تحصل إلا بالكي! إلا بحادثة بسكين! بشطب! لكن من كثرةِ ما كان يبكي لله عزّ وجل، وسبحان الله عمر بن الخطاب الشديد الذي عُرف بصرامته وقوته وشدة بأسه!

فكيف يصبح هو نفسه هذا العبد الرقيق البكاء في سبيل الله عز وجل

عمر بلغ مرحلة في عبودياته لله عز وجل أنه يسمع آية فقط فيسقط عليها أياما بحرارة حُمى! فقط من آية! مر رضي الله عنه وهو يعس بالمدينة فإذا قارئ يقرأ سورة الطور فلما مر بقول الله عز وجل: **﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾** رجع عمر إلى بيته مريضًا والناس تعوده ولا يعرفون ما به، يعودونه.. مريض ساقط من الحمى من آية تسقطه! ماذا؟ ما الذي من الممكن أن يحصل فيزيائيًا إلى درجة أن ترتفع الحمى وترتفع حرارته! **هذا من خوفه وخشيته لله عز وجل فهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم كانوا صادقين في علاقتهم مع الله عز وجل.**

ولذلك ...السؤال هنا ماذا قدمنا نحن لله عز وجل؟

ماذا قدمنا من أجسادنا ماذا قدمنا من قلوبنا؟

ماذا قدمنا من حياتنا لله عز وجل؟

وهذا السؤال مهم وضعوه مع كل الأسئلة التي بدأنا بها هذا الدرس بأن هناك رفع لأعمالنا أسبوعيًا ويوميًا وسنويًا

فأنت ماذا سيرتفع لك من أعمال؟

أختم بهذا الحديث والذي بودي أن تتأملوه معي

الله عز وجل يقول في هذا الحديث القدسي: **(مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْب، ..")**(1)

فلا يوجد شيء من الممكن أن تفعله أحب إلى الله عزّ وجل **من الأمر الذي افترضه الله عليك والذي هو صلاتك وفرضك،** فالفروض هي التي أمرنا الله بها, أوامر الله التي هي فرض التي لا يختلف عليها اثنين التي ليست من عندك وليست من تشريعك وتأليفك **وإنما هي التي يريدها الله عز وجل!** وفق ما يريده الله عز وجل ووفق سنة النبي محمد عليه الصلاة والسلام فليست هي برأيك الشخصي ولا برأي الناس الفقهاء الذين أتوا من مكانٍ ما ولا هي برأي فيه ترخص فقهي لا! **هي شرع الله الذي أمر به وجاءت به سنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام**

(وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ) (2)

(1) أخرجه البخاري، صحيح.
(2) أخرجه البخاري، صحيح.

انظروا إلى الكلمة.. (يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)

أنت الآن قمت بالفرض أي أتيت بالأساس لكن حتى تصل إلى مرحلة الحب لابد أن تبدأ في عمل أمر آخر يُميزك أنت

(وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ) (1)

ما الذي سيحصل؟

(فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) (2)

انظروا أين وصلت مرحلة الحب إلى أن الله عز وجل يكره أن يسيء لهذا المؤمن الذي يكره الموت فهو يقول:

(وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) (3)

ولذلك لما نقول عن سعد بن معاذ أنه اهتز لموته عرش الرحمن! اهتزّ عرش الرحمن لأجل ذلك العبد الصالح؛ إذًا هناك علاقة تحصل بين هذا العبد وبين ربه **(وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)** (4) النوافل هذه بابها واسع جدًا، وكل واحد منا يُميز نفسه عند ربه..

(1) أخرجه البخاري، صحيح.
(2) أخرجه البخاري، صحيح.
(3) أخرجه البخاري، صحيح.
(4) أخرجه البخاري، صحيح.

ما النوافل التي تستطيع أن تقوم بها ومن الممكن ألا يقوم بها شخص آخر؟

هناك شيء مميز في حياتك وباب من الخير مفتوح لك ليس لأحدٍ آخر، فالله هيأ لك أنت بالذات بابا ليس موجود عند غيرك ممكن يهيئ لك باب بر في والدة بر في جدة بر في أب بر في مريض، ممكن يهيئ لك أبوابا من الخير في صدقات على الفقراء أو المحتاجين، أو دائمًا هؤلاء يتصلون فيك.. أو قد يكون مثلًا أبواب من الرزق، أو تفرّج على الناس همومها أو خير تبذله أيًا كان، **لكن لابد أن تبحث عن ذلك الشيء الذي يُميزك في عبودياتك لله عزّ وجل والذي يرتفع بشكل يومي** والذي لا ترضى أن يؤذَّن لصلاة العصر إلا وقد ارتفع لك هذا الخير، ولا يؤذَّن لصلاة الفجر إلا وقد ارتفع لك هذا الخير **لكن لا تمضي في حياتك من دون أن تقدم شيئًا في علاقتك بينك وبين الله عزّ وجل.**

هذه كلها كانت مجرد إلماحة في علاقتنا مع الله عز وجل، هذه العبودية لابد أن تكون هي وظيفة العمر كله فليست في شأن دون شأن ولا في مرحلة دون مرحلة وإنما كما قال الله عز وجل: **﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حتى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾** أسال الله أن يجعلني وإياكم من هؤلاء وأن يغفر لنا ذنوبنا وخطايانا وأن يجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاه سبحانه

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

* تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات المكتوبة في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد ؛ إنما تمّت إعادة صياغتها لتناسب القرّاء وبما لا يخل بروح المحاضرة ومعانيها.